

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۖ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۖ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۖ إِنَّ إِلَهُكُمُ
لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۖ ﴾

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا : قسم بالجماعات تصطف للعبادة .

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا : تزجر عن المعاصي بالأقوال والأفعال .

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا : تتلو آيات الله للعلم والتعليم .

إِنَّ إِلَهُكُمُ لَوَاحِدٌ : جواب القسم .

من جملة الحقائق الغيبية التي أخبر عنها الأنبياء الكرام وجود الملائكة . وقد ذكرت هنا ثلاث وظائف خاصة بالملائكة . أما أولاها : فهي تتمثل في خضوعهم التام وانقيادهم الكلي لمشيئة الله ، حيث إنهم لا يزالون يقفون في جناب الله تعالى صفوفاً ، وهم على أتم الاستعداد لامثال أمره ، دون أن يخطر ببال أحد منهم خاطر العصيان أو التمرد عليه أبداً .

ومن الملائكة : طائفة أخرى تقوم بتنفيذ العقوبات الإلهية على الناس ، إما بشكل النوازل والآفات والنكبات أو بأي شكل آخر سواها .

وأما ثالث الوظائف المنسوبة إلى الملائكة هنا : فهي أنهم يتنزلون بذكر الله وموعظته على قلوب عباد الله ؛ في صورة الإلهام أو الإلقاء بالنسبة إلى البشر العاديين ، وفي صورة الوحي بالنسبة إلى الأنبياء والمرسلين ! .

إن الله هو مالك هؤلاء الملائكة الذين لا يراهم الإنسان ، كما أنه تعالى هو مالك هذه السماوات والأرض التي يراها الكل رأي العين . وفي حالة كهذه فإن كل ما يُتخذ من دون الله الواحد إلهاً سيكون هو إلهاً لا يستحق أن يؤله أو يُعبد إطلاقاً .

﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ۚ دُحُورًا ۚ وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۚ إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۚ ﴾

شَيْطَانٍ مَّارِدٍ : متمرّد خارج عن الطاعة .

وَيُقَذَّفُونَ : يرمجون .

دُحُورًا : إبعاداً وطرداً .

عَذَابٌ وَاصِبٌ : دائم لا ينقطع .

خَطِفَ الْخَطْفَةَ : اختلس الكلمة مسارقة بسرعة .

شِهَابٌ : ما يرى كالكواكب منقضا من السماء .

ثَاقِبٌ : مضيء أو محرق .

ربما يكون المراد بـ "السماء الدنيا" هو هذا الجزء من الفضاء الذي يقع قريباً منا نحن البشر ، والذي يمكننا أن نشاهده بالعيون المجردة من غير استعانة بأية وسائط أو آلات .

وكما أن الإنسان كائن مختار ، فكذلك يتمتع الجن بحرية الاختيار ، ومن ثم فهم يخلقون في أجواء الفضاء في محاولة التوصل إلى الملأ الأعلى (العالم العلوي) كي يستمعوا - خلسةً ومسارقةً - إلى أخبار المستقبل ، غير أن الله - جلّت قدرته - قد اتخذ

في السماء الدنيا تدابير محكمة لدرجة أنهم لا يكادون يقتربون منها حتى يُطردوا خائبين، ولا تسنح لهم فرصة للوصول أو الاستماع إلى الملائ الأعلى!

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ حَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۚ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۚ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۚ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۚ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۚ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ ۚ أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۚ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۚ ﴾

طِينٍ لَازِبٍ : ملتزق بعضه ببعض .

وَيَسْخَرُونَ : يهزأون ويتعجبون .

يَسْتَسْخِرُونَ : يبالغون في سخريتهم .

دَاخِرُونَ : صاغرون أذلاء .

إن هذا الكون الذي يمتد أمام أبصارنا يبلغ من الدقة والتعقيد والعظمة والاتساع حداً يبدو بجانبه إعادة خلق البشر في عالم آخر عملاً هيناً صغيراً نسبياً، إذ كيف يستحيل أو يُستبعد على خالقٍ نشاهد الأنموذج الأعظم من قدرته على الخلق والإبداع؛ أن يقوم بعملية إبداعية أصغر من ذلك بكثير؟!

ومن تحليل الجسم الإنساني ندرك أنه علم على مزيج من الأجزاء الأرضية، حيث تم تكوين الإنسان من تركيب المواد أو العناصر المتوافرة في أرضنا كالماء، والكالسيوم، والحديد، والصوديوم، والتنجستين، وما إلى ذلك، وكل هذه العناصر توجد في هذا العالم بمقادير هائلة جداً، إذن، فالعناصر التي أنشأ الخالق بتركيبها هذا الإنسان مرةً واحدةً، كيف لا يستطيع أن يفعل ذلك بإعادة تركيب هذه العناصر نفسها مرةً

أخرى؟!

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ١٤٧ ﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ١٤٨ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ١٤٩ ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ١٥٠ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ ١٥١ ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ١٥٢ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ﴾ ١٥٣ ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ ١٥٤

زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ : صيحة واحدة (نفخة البعث)

يَا وَيْلَنَا : يا هلاكنا أحضر .

يَوْمُ الدِّينِ : يوم الجزاء والحساب .

وَأَزْوَاجَهُمْ : أشباههم . أو قرناءهم .

وَقَفَّوهُمْ : أحبسوهم في موقف الحساب .

يساق الحديث عن الحياة القادمة في العالم الراهن كما يُساق خبر من الأخبار . ولكن المرء لا يلقي إلى هذا الخبر بالاً ولا يعطيه أهمية تُذكر ، وأما إذا فوجئ الناس بالحياة القادمة، وقد استحالت حقيقة قاسية لا مندوحة عنها ، فسوف لا يلبث المرء يومئذ أن يلقي بنفسه بين يدي الله خاضعاً مستسلماً ناسياً كل عناده وطغيانه . وإنه سيكون مشهداً فظيعاً مروعاً لا يوصف . وقد سُلطت بعض الأضواء على ما سيؤول إليه حال الناس يومئذ في ساحة المحشر في الآيات التالية .

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٥٥ ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ ١٥٦ ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ١٥٧ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ ١٥٨ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰهِقُونَ﴾ ١٥٩ ﴿فَأَغْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ ١٦٠

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿

عَنِ الْيَمِينِ : من جهة الدين فتصدوننا عنه .

قَوْماً طَاغِينَ : مجاوزين الحد في العصيان .

فَحَقَّ عَلَيْنَا : ثبت ووجب علينا .

فَأَغْوَيْنَاكُمْ : فدعوناكم إلى الغي فاستجبتم .

هذا حوار بين العوام (الأتباع) والقادة (المتبوعين) ، ففي يوم القيامة سوف يلقي العوام ببتعة هلاكهم وضياعهم على قادتهم قائلين : إنكم أنتم الذين أغويتمونا بشتى وسائل الإغواء والتضليل .. وسيرد عليهم القادة بقولهم : إن اتهامكم هذا خاطئ ، إذ لا يغوي أحد أحداً ، وإنما كانت أنفسكم منطوية على مزاج التمرد والطغيان ، وبالتالي فقد استجبتم لنا واتبعتمونا لكون كلامنا يتفق مع مزاجكم ، والواقع أن استجابتكم إنما كانت أساساً لأهوائكم وليست لنا .. إذن فكلنا في الجريمة سواء .

والحقيقة أن كلا الفريقين - القادة والأتباع - سيلاقون يوم القيامة مصيراً مشتركاً واحداً ، فلن تتمكن عظمة القائد من إنقاذه من العذاب ، ولن ينجي العوام اعتذارهم : إننا كنا جهلة ، وإنما أضلنا قادتنا عن سواء السبيل ! .

﴿ إِنَّا كَذَبْنَاكَ نَفْعُلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ إِنْهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٢٥﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٦﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٢٧﴾ وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

ليس معنى قوله : ﴿ إِنْهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ أنهم

كانوا يقفون موقف الاستكبار إزاء الله .. إذ لا أحد يفعل ذلك فإن عظمة الله أجل وأكبر من يجترئ أحد على التعالي والاستكبار تجاهه ، وإنما كان استكبارهم في الحقيقة بالنسبة إلى رسول الله وليس بالنسبة إلى الله تعالى !.

وحيث إن رسالة التوحيد التي جاء بها الرسول كانت تمثل ضربة موجهة نحو أكابرهم أولئك الذين كانوا يارسون أعماهم المشركة بأسمائهم ؛ فإذا قارنوا بين شخصية الرسول - من ناحية - وبين أكابرهم المزعومين - من ناحية أخرى - بدا لهم الرسول في ظاهر الأمر أقل وأنزل رتبة من أكابرهم ، وكانوا بالتالي لا يلبثون أن يعرضوا عن الرسول ازدراءً واستهانةً بشأنه . وكانوا يظنون باستمرارهم على التشبث بأهداب أكابرهم المزعومين ، أنهم مرتبطون بالكبار .

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ١٥٠ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ١٥١ فَوَاكِهُ ١٥٢ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ١٥٣ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١٥٤ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ١٥٥ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ١٥٦ بَيَضَاءَ لَّدُنْهِ لِلشَّارِبِينَ ١٥٧ لَا فِيهَا غَوْلٌ ١٥٨ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ١٥٩ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ١٦٠ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ١٦١﴾

الْمُخْلَصِينَ : الذين أخلصهم الله لطاعته .

بِكَأْسٍ : بخمر . أو بقدح فيه خمر .

مِّنْ مَّعِينٍ : من شراب نابع من العيون .

لَا فِيهَا غَوْلٌ : ليس فيها ضرر ما كخمر الدنيا .

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ : حور لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

عِينٌ : واسعات العيون حسانها .

بَيِّضٌ مَّكْنُونٌ : مصون مستور لم يصبه غبار .

الذين سيقيمون بأقوالهم وأعمالهم الدليل على أنهم أهل للسكنى في عالم الجنة اللطيف النفيس ، سوف يختارهم ربهم للإسكان في جنته، وسوف يوفر لهم هناك كل أنواع النعم الرفيعة، ثم يقال لهم : عيشوا في حدائق اللذات والراحات خالدين أبد الدهر!.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۚ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتُ لَلَّذِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا خَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا آلَ أُولَىٰ وَمَا خَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

لَمَدِينُونَ : لمجزيون محاسبون ؟

سَوَاءٍ الْجَحِيمِ : وسطها .

إِنْ كِدْتُ لَلَّذِينَ : إنك قاربت لتهلكني بالإغواء .

الْمُحْضَرِينَ : للعذاب مثلك .

إن الجنة ستكون عالماً حافلاً بأنشطة لطيفة وممتعة للغاية ؛ حيث ستكون هناك اجتماعات يسودها الأنس والمودة والصفاء ، ومشاهدات رائعة تبعث البهجة والسرور في النفس ، وسيدور بين أصحابها أحاديث وأسفار لذيدة هادئة ؛ إذ ستكون كل ألوان القيود والحدود قد ألغيت هناك ، وكل أنواع المنغصات قد انعدمت وتلاشت إلى غير

رجعة.

وليس المراد من الإيمان بالآخرة إقرارها اللفظي بسهولة ، وإنما اعتبار أمرها من الأهمية والخطورة بحيث يطغى ذلك على حياة المرء بأكملها ، وبالتالي يسخر المرء كل ما يملك في سبيل الآخرة ، والذين كانوا يعتبرون محبي الآخرة مجانين أو مغفلين ، سوف يتملكهم الذهول حين يرون فوزهم ونجاحهم الباهر في الآخرة ، ومن جهة أخرى سينظر المحبون للآخرة إلى مصيرهم الرائع نظرة ملؤها الدهشة والإكبار ، كما لو أنهم غير متأكدين من أن الله كافأهم على عملهم الصغير بهذا الجزاء الكبير .. ما أعجب ذلك الإنسان الذي لا يحترق شوقاً إلى جنّة هذا شأنها ، والذي لا يعمل جهده لأجل الحصول عليها !!

﴿ أَدْرَاكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴾ (١٧) إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٢٠﴾ فَإِنَّهُمْ لَا كُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَعُونَهَا مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٢٤﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٧﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٩﴾

خَيْرٌ نَزْلًا : ضيافة وتكرمة ولذة .

شَجَرَةُ الزُّقُومِ : شجرة من أخبث الشجر بتهامة .

فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ : محنة وعذاباً لهم في الآخرة .

أَصْلِ الْجَحِيمِ : قعر جهنم .

طَلَعُهَا : ثمرها الشبيه بطلع النخل .

كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ : تمثيل لتناهيه في البشاعة والقبح .

لَشَوْبًا : خلطاً ومزاجاً .

مِنْ حَمِيمٍ : ماء بالغ غاية الحرارة .

عَلَى آثَارِهِمْ يُهَرَّعُونَ : يزعمون ويحثون على الإسراع الشديد على آثارهم .

لقد جاء في القرآن غير مرة أن في جهنم شجرة من زقوم ، سيأكل أهل جهنم من ثمارها إذا اشتد بهم الجوع . (الدخان : ٤٢ ، الواقعة : ٥٢) .

ولما أخبر القرآن بذلك اتخذ قدماء العرب موضوع التندر والسخرية ، فقال أحد الرؤساء : كيف ستنبت الشجرة وسط نيران جهنم الملتهبة ، بينما النار تحرق الشجر ؟ وقال آخر : إن محمداً يحذرنا من الزقوم ، وإنما هو في لغة البربر التمر والزبد . وذات يوم ذهب أبو جهل ببعض الناس إلى داره ، فنادى جاريته بأن اثيني بالتمر والزبد ، فلما أحضرت ، قال لأصحابه : "تزقموا ، هذا ما يخوفنا به محمد" (١) .

وقد كانت مثل هذه التصريحات القرآنية أفضل وسيلة يستغلها المعارضون للدعاية المغرضة ضد القرآن وتشكيك الجماهير في شأنه ، وقد كان بالإمكان ألا يستعمل الله - سبحانه وتعالى - في القرآن أية كلمة يجد فيها المعارضون مأخذاً أو موضوع الطعن والانتقاص ، غير أن الله سبحانه لم يفعل ذلك . وسر ذلك أن هذا هو المكان الذي يتم فيه امتحان المرء ، فلكي يدخل المرء في عداد الناجين لا بد له من أن يقيم الدليل على أنه قد ركز اهتمامه على الحقيقة الجوهرية بغض النظر عن المطاعن والمآخذ ، وأدرك المراد الحقيقي من الكلام مع اجتياز مزالق سوء الفهم بسلامة ، وجنب نفسه الانحراف

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣ / ٤١ .

الذهني رغم توافر إمكاناته .

إن عباد الله "المخلصين" هم الذين يكتشفون الصدق متحررين من أسر الدين التقليدي الموروث ، ويدركون المعاني مترفعين عن الظواهر، والذين يتعرفون على مندوب الله البشري ، وبالتالي يقفون إلى جانبه بكل ما عندهم من همية ونشاط !

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ٧٤ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٧٨ سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ٨٢ ﴾

لم يلبث قوم نوح أن صاروا له أعداء ، فنادى - ﷺ - ربه طالباً نصرته على قومه ، فنصره الله على أفضل وجه وأكملته ، وتوضح هذه الكلمات أن عبداً من عباد الله حين ينادي ربه ، فيتلقى من لدنه تعالى أحسن الجواب . ولكن لكي نفهم هذا الأمر على وجهه لا بد أن نضيف إليه أمراً آخر ، وهو أن نوحاً - ﷺ - استمر يعمل ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ظل فيها يدعو قومه إلى الله ، متحلياً بالصبر والحكمة ، ومراعياً كل آداب النصيح والموعظة الحسنة ، وهكذا بعد مضي حقب طويلة من الزمان حافلة بالجهد الدءوب والعناء المتصل ، حان الوقت الذي لم يعد يسعه فيه إلا أن يدعو الله على قومه ، وبالتالي تتوجه عناية الله إلى نصره بكل قواه .

وقد هلك معارضو نوح في طوفانٍ هائلٍ بحيث لم يبق لهم ذكر ولا أثر . وأما نسل البشر الذي بدأ في أعقاب ذلك بالتكاثر ، فإنها جاء من ذرية أولئك الأفراد القلائل الذين ركبوا في السفينة مع نوح فنجوا من الغرق !

﴿ وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ ٨٣ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٤﴾ أَيْفَكَ ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٢٥﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾

مِنْ شَيْعَتِهِ : مَنْ شَايَعَهُ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَمِلَّتِهِ .

أَتُنْفَكُ : أَكْذَبًا وَبَاطِلًا .

كان سيدنا إبراهيم هو الآخر على الدين نفسه الذي كان عليه سيدنا نوح من قبل؛ فقد ظلت دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ، على اختلاف الزمان والمكان ، واحدة ، ألا وهي أن يصل المرء إلى ربه وهو يحمل بين جنبيه قلباً سليماً . والقلب السليم معناه القلب الطاهر ، أي القلب المصون من الآفات . وهذا هو الشيء الأصيل الذي يطلبه الله من الإنسان .

لقد بعث الله بالإنسان إلى الدنيا بعد أن خلقه على الفطرة الصحيحة . واختباره الآن يكمن في أن يجنب نفسه فتن الدنيا ومغرياتها ، حتى يلقي ربه وهو منزّه نقي من كل دنسٍ أو لوثَةٍ شيطانية ونفسانية . وإن هذا الإنسان الطاهر المصون هو الذي يسكنه الله وأمثاله في جنانه الأبدية !

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ ﴿٢٧﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَرَاغَ
إِلَى ءَالِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٣٠﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٣١﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ
﴿٣٢﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٣٣﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٣٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ
﴿٣٥﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٣٦﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ
الْأَسْفَلِينَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٣٨﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٤٠﴾

فَنَظَرَ : تأمل تأمل الكاملين .

إِنِّي سَقِيمٌ : يريد أنه سقيم القلب لكفرهم .

فَرَاغَ إِلَى آهَتِهِمْ : فمال إليها خفية ليحطمها .

ضَرْبًا بِالْيَمِينِ : يضربهم ضرباً ملتبساً بالقوة .

يَزُقُّونَ : يسرعون في مشيهم .

بِغُلَامٍ حَلِيمٍ : رجح كثير أنه إسماعيل عليه السلام .

ربما كان قوم إبراهيم يتهيأون للذهاب إلى خارج البلدة لأجل الاحتفال ببعض أعيادهم ، وبالمناسبة طلب منه - عليه السلام - أهل أسرته أن يخرج معهم هو الآخر، إلا أنه اعتذر إليهم عن ذلك بأسلوب التورية . ولما ذهب جميع الناس ، توجه ليلاً صوب معبدهم ، وحطم أصنامهم ، وإنه - عليه السلام - لم يقدم على هذا إلا بعد ما استنفذ كل جهوده في دعوة القوم إلى الحق وأقام عليهم الحجة ، ولما لم يقتنعوا بكون الأصنام باطلة عن طريق الأدلة والبراهين ، أعلمهم بلسان العمل بأنها باطلة لا حقيقة لها ؛ إذ لو كانت لها حقيقة ما لأنقذت نفسها من التحطم تحت ضربات المعول ! .

وبعد قيامه - عليه السلام - باتخاذ هذه الخطوة النهائية الحاسمة ، لم يلبث القوم أن رموه بآخر سهامهم ، حيث ألقوه في النار المستعرة ، ولكن الله أنقذه منها سالماً ، وقد اضطر بعد ذلك إلى الفرار من قومه ، فعادر وطنه (العراق) ورحل إلى الشام ، ويتردد على لسانه آنذاك الدعاء التالي : اللهم ارزقني أولاداً صالحين ، حتى أقوم بتربيتهم على معاني الإيمان والإسلام ، لكي يضطلعوا من بعدي بأعباء دعوة التوحيد ويستمروا في إبلاغها إلى الأجيال اللاحقة !

﴿ فَأَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْخُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾

قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ
 لِلْجَبِينِ ﴿١٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَابَرَاهِيمَ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتُوَا الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٢٢﴾ وَبَارَكْنَا
 عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾
 بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ : درجة العمل معه في حوائجه .

أَسْلَمَا : استسلما وانقادا لأمره تعالى .

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ : أضجعه على جبينه على الأرض .

الْبَلَاءُ الْمُبِينُ : الاختبار البين . أو المحنة البينة .

بِذَبْحٍ : بكبش يذبح .

لقد غلب الشرك في زمن سيدنا إبراهيم وسرى نفوذه في كل شعبة من شعب الحياة
 البشرية بحيث قام له تسلسل فكري عبر الأجيال المتعاقبة، فما من مولود يولد في ذلك
 الزمان إلا ترسخت جذور الشرك في أعماقه بتأثير البيئة المحيطة به ، لدرجة أن أية
 محاولات دعوية لم تعد تنجح في تنقية ذهنه من آثار الشرك ، ولما خرج سيدنا إبراهيم،
 بعد كفاح دعوي طويل من أرض العراق ، لم يكن معه حينذاك سوى مؤمنين اثنين :
 أحدهما زوجه سارة ، والآخر ابن أخيه لوط !!

ولما كان الناس يأبون قبول التوحيد على كثرة دعوات الأنبياء وطول مداها ، شاءت
 إرادة الله أن يضع خطة لإعداد نسل جديد من البشر ينشأ بمعزل عن مؤثرات بيئة

الشرك ، وقد اختير لهذا الغرض منطقة الحجاز النائية التي كانت غير مسكونة تماماً ، وكانت تتلخص هذه الخطة الإلهية في أن يتم إسكان شخص في تلك المنطقة غير المأهولة ، ويُعد من أعقابه وذريته نسل محفوظ نقي ، غير أن الحجاز لم يكن يعدو أن يكون صحراء مجدبة حينذاك ، فكان إسكان أحد الناس في هذه الصحراء المجدبة مرادفاً لذبحه حياً .. وقد أمر الله خليله إبراهيم بأن يقدم ابنه البكر إسماعيل لهذا الذبح ، فما لبث أن أحضر ولده للذبح امتثالاً لأمر الله .. فكان إسماعيل تعرض للذبح مرتين وقد نجاه الله فيهما !!

وكان لسيدنا إبراهيم ولد آخر هو سيدنا إسحاق - عليه السلام - وقد ظلت النبوة مستمرة في نسله إلى أن وُلد النبي الخاتم في بني إسماعيل ، وهو الذي فجر - باستخدام "النسل المحفوظ" الأنف الذكر ثورة توحيدية عامة قضت على غلبة الشرك الفكرية إلى الأبد !!

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٩﴾ وَخَيَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٠﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْنُؤُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٣١﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٣٢﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٣٣﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١٣٤﴾ سَلَمًا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

لقد نصر الله موسى وقومه ونجاهم من ظلم فرعون . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : كيف تم ذلك؟ إنما تم ذلك عن طريق الدعوة إلى الله ، حيث دعا موسى فرعون إلى الحق ، وبذل في هذا السبيل قصارى جهده حتى أعذر إليه وأقام عليه الحجة . وبعدئذ حان الوقت الذي لم يعد فيه بد من أن يُدان فرعون ويهلك ، ويكتب لموسى وقومه الغلبة والتمكين في الأرض ، ومما يُستفاد من هداية الصراط المستقيم في

هذا السياق أنه قد وُفقوا إلى الحل الصحيح لقضية فرعون .. وبالرغم من أنها كانت قضية قومية بالنسبة إلى بني إسرائيل ، إلا أنهم أُرشدوا إلى حلها في إطار الدعوة ؛ ومن ثم فإن الغلبة التي حصلوا عليها إنما جاءت ثمرة كفاحهم الدعوي ، وليس نتيجة أي نضالٍ قومي ضد الطاغية فرعون !.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٢﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٧﴾ وَتَرَكَنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٣٨﴾ سَلَمٌ عَلَىٰ إِلَٰهَ يَاسِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا كَذَّاكُ الْخَجَزِيِّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ : أتعبدون الصنم المسمى بعلاً تحضرهم الزبانية في النار .

إِلَٰهَ يَاسِينَ : إلیاس أو إلیاس وأتباعه .

كان إلیاس - عليه السلام - من نسل هارون - عليه السلام - عاش في القرن التاسع قبل المسيح وفي عهده كانت فلسطين يحكمها الملك اليهودي أخآب (Ahab) ، وكانت لبنان خاضعة لحكومة الشعب الفينيقي ، الذي كان شعباً مشركاً يعبد صنماً يقال له : "بعل" . وقد تزوج أخآب من ابنة الملك المشرك ، وبتأثير من هذه الأميرة المشركة انتشرت عبادة الصنم بعل بين اليهود ، وعندها قام إلیاس يحذر اليهود مغبة انحرافهم ، ودعاهم إلى عبادة الله الواحد ؛ دين آبائهم وأسلافهم الحقيقي . وقد ذكرت أحوال سيدنا إلیاس (باسم إيليا) في أسفار التوراة .

ولم يقف إلى جانب إلیاس - عليه السلام - في زمانه سوى عددٍ قليلٍ من اليهود ، بينما وقفت أغليبتهم الساحقة منه موقف الجحود والمعارضة ، حتى تأمروا على سفك

دمه .. فأذاقهم الله جزاء ذلك شتى العقوبات ، على أن إلياس لم يلبث أن نال مقاماً رفيعاً جداً لدى اليهود فيها بعد ؛ حيث إنه يُعد الآن من كبار الأنبياء في تاريخ الشعب اليهودي!

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣١) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿٣٣﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٣٧﴾ سَلَمٌ عَلَىٰ إِلَٰهَ يَاسِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤١﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِرِينَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّا لَنَتَمَرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿٤٥﴾ وَبِالْبَلَاءِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٦﴾

في الغاييرين : في الباقيين في العذاب .

دَمَرْنَا الْآخَرِينَ : أهلكناهم .

مُصْبِحِينَ : داخلين في وقت الصبح .

كان سيدنا لوط ابن أخ لسيدنا إبراهيم - عليها الصلاة والسلام - وقد أُرسل إلى قريتي سدوم وعموره قرب البحر الميت لهداية أهلها الذين كانوا مصابين بعبادة غير الله وسوء الأخلاق ، غير أنهم لم يتقبلوا الهداية ، فما لبثوا أن حل بهم آخر الأمر عذاب الله ، فأهلكوا عن آخرهم ما عدا لوطاً ونفراً قليلاً من الذين آمنوا به .

وقد كانت قريش كثيراً ما تمر قوافلها التجارية ، وهي في طريقها إلى بلاد الشام وفلسطين ، بأطلال مساكن قوم لوط الواقعة على شواطئ البحر الميت ، ولكن من

عجائب أمر الإنسان أنه لا يعرف إلا الحادث الذي يقع على نفسه هو، أما مصائر الآخرين فقلما يأخذ منها درساً أو ينظر فيها بعين التدبر والاعتبار !

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣٨) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٣٩﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿٤٠﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤١﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿٤٢﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٤٣﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿٤٥﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿٤٦﴾ فَعَاثُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ (٤٧)

أَبَقَ : هرب .

الْمَشْحُونِ : المملوء .

فَسَاهَمَ : فقارع مَنْ في الفلك .

الْمُدْحَضِينَ : المغلوبين بالقرعة .

فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ : ابتلعه .

وَهُوَ مُلِيمٌ : آت بما يلام عليه .

الْمُسَبِّحِينَ : الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح .

فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ : طرحناه بالأرض الفضاء الواسعة .

يَقْطِينٍ : هو القرع المعروف وقيل غيره .

يرجع عهد يونس - عليه السلام - إلى القرن الثامن قبل المسيح ، وقد أرسله الله إلى نينوى

- إحدى مدن العراق القديم - فمكث هناك يدعو أهلها إلى الحق مدة من الزمان ،

حتى يؤس من إيمانهم ، فعادر المدينة ولم ينتظر أمر الله بمفارقة قومه . ولعله حين أزمع الرحيل قصد نحو شاطئ دجلة ، حيث ركب في سفينة كانت مكتظة بالمسافرين ، فلم تكد السفينة تتوسط النهر حتى اضطربت وكادت أن تغرق ، فاضطر ركاها أن يقرعوا على من يُلقى في البحر منهم ، فخرجت القرعة على يونس وألقوه في الماء ، فابتلعه - بإذن الله - حوت عظيم، ثم نبذه بالساحل بعدما لبث في بطنه ما شاء الله أن يلبث .. وبم أن يونس - عليه السلام - كان قد ترك قومه قبل الآوان ، أمره الله بأن يعود مرة أخرى إلى قومه ، فجاء ، واستأنف دعوته ، ولم يلبث حتى آمن به جميع سكان المدينة البالغ عددهم أكثر من مائة ألف نسمة .. وهذا يفيد أن الداعي لا بد له من التزام الصبر على كل حال ، حتى في الوقت الذي يكون سلوك الناس قد صار في ظاهر أمره باعثاً على اليأس !

﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُوتُ ﴾ (١٦) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَةَ إِنْسًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٨﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿٢٠﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾

إِفْكِهِمْ : كذبهم على الله .

أَصْطَفَى ؟ : اختار ؟ (استفهام توبيخ) .

سُلْطَانٌ : حجة وبرهان .

إن ترغيب الشيطان أو تفسير البشر الخاطئ لحقائق الغيب كثيراً ما يؤدي إلى انحرافات فكرية وضلالات عقيدية عظيمة ، ومنها ما يعتقد بعض الناس أن الملائكة بنات الله ... ، إن هذا زعم سخيف باطل لا يستند على أساس من العقل أو النقل ،

وحسبك دليلاً على بطلانه بأمرٍ بديهيٍّ وهو أنه لو كان الله - فرضاً - بحاجة إلى الولد لمساعدته ، لاتخذ لنفسه الذكور دون الإناث التي هي رمز للضعف حتى لدى المشركين أنفسهم !!

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا ۖ وَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝٣٨ ۝٣٩ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝٤٠ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝٤١ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝٤٢ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ۝٤٣ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝٤٤ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ۝٤٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۝٤٦ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝٤٧﴾

الجنة : الملائكة ، أو الشياطين .

إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ : إن الكفار لمحضرون للنار .

عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ : مضلين أو مفسدين على الله أحداً .

صَالِ الْجَحِيمِ : داخلها أو مقاسٍ حرها .

الصَّافُونَ : أنفسنا في مقام العبادة .

الْمُسَبِّحُونَ : المنزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله .

تعتقد الأمم الضالة عن الجن أنهم أنداد ومنافسون لله سبحانه وتعالى ؛ حيث تزعم أن الجن يملكون قوى الشر كما يملك الملائكة قوى الخير ، وأن كلاهما قادر على أن يجر من شاء إلى هوة الشقاء والتعاسة ، ويقود من شاء إلى طريق النجاح والسعادة ، كشأن المجوس القائلين بالثنوية ؛ أي بوجود مبدئين أو إلهين اثنين : أحدهما "أرمزد" وهو - في زعمهم - إله النور والخير ، وثنائها "أهريمان" وهو إله الظلمة والشر .

إن الإنسان يؤله الملائكة ويعبدهم في الدنيا بناءً على افتراضاته الكاذبة ، بينما الملائكة

لا يزالون يقفون بين يدي الله الواحد القهار صفوفاً كالخدم المطيعين ، وألستهم لا تفتأ تلهج بتكبير الله الواحد وتسيحه كل حين وأن !

﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ۖ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۚ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۚ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۚ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۚ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۚ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۚ ﴾

الناس يهملون أمر دعاة الحق بعد الاكتراث ، ويغيب عن بالهم أن دعاة الحق هم جنود الله في هذه الدنيا ، وأن كلمتهم تعلو على كل حال ، مهما اشتدت معارضة المعارضين لها ، ومهما وضعوا في طريق انتشارها من صنوف العراقل !

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۚ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ۚ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۚ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۚ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۚ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ﴾

بِسَاحَتِهِمْ : بفنائهم . والمراد بهم .

رَبِّ الْعِزَّةِ : الغلبة والقدرة والبطش .

كان الرسول ينذر الناس قائلاً بأنكم لئن لم تؤمنوا بما جئكم به، حل عليكم عذاب من الله شديد .. بيد أن الناس ما برحوا يعتبرون هذا القول ضرباً من اللغو أو الهذيان ، فظلوا يسخرون منه ومن قائله .

ولكن بالرغم من سخرية الناس واستهزائهم لم ينزل عليهم العذاب فوراً ، لأن العذاب الإلهي لا بد له من قيام الحجة وبلوغ الدعوة إلى حد انقطاع العذر ، ولهذا

السبب يؤمر الأنبياء بالصبر والإعراض حتى يأتي الأجل المقدور بحسب العلم
الإلهي !